عنوان البرنامج: الدراسات الاستشرافية
الوحدة الثالثة: المنظور الإسلامي للاستشراف
الدرس الأول: الاستشراف في القرآن والسنة (1)
اسم المحاضر: الدكتور خالد ميار الادريسي

الاستشراف في القرآن والسنة (1)

إن الدين في أصله وجوهره دعوة للإيمان بالاستعداد للقاء الله، خالق كل شيء، وهذا اللقاء مستقبلي في عالم الآخرة. ولذا فإن غاب لفظ المستقبل في القرآن الكريم فلا يعني ذلك عدم ورود ألفاظ دالة على ضرورة التفكير فيه والاهتمام به من أجل الوعي باللقاء مع الله.

إن القرآن الكريم كله دعوة للتدبر في المآلات الدنيوية والأخروية، ذلك أن الخطاب الإلهي يحث الناس عامة على التعقل وتجنب سلوكيات العبث ويوجه المؤمنين إلى طلب الحكمة والمعرفة والعلم النافع. وخير العلم ما كانت معه الخشية من الله وتبصر عواقب الأمور. لذا فإن القرآن الكريم ميدان الاعتبار بامتياز، اعتبار بأحوال الأمم والحضارات التي تلاشت وانهارت لعدم إيمانها برسالات الأنبياء وعدم الإيقان بنبل مهمتهم واستهدافهم الخير للناس عامة.

والاعتبار والاستبصار والاستشراف والتوقع والارتقاب والاحتياط والاستعداد وإعداد العدة والتدبر والتفكير كلها أبواب ومداخل الفكر المستقبلي النافع في الدنيا والآخرة؛ إذا كانت النية صادقة وخالصة لوجه الله. والألفاظ الدالة في القرآن على ضرورة الاهتمام بالمآلات الجماعية والفردية، متعددة ومتفردة. كما يمكن استنباط أهمية الاستشراف والدعوة إليه في القرآن من خلال آيات كثيرة.

لقد وجه القرآن الكريم الناس إلى التفكر في المآل الأخروي بالأساس، حيث قال تعالى[1]: ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**﴾. فالجزاء الأخروي الذي هو مستقبل فردي بالأساس مرتبط بخطة عملية، قوامها العمل الصالح المستمر والمؤسس طبعا على الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه. كما أكد القرآن حتمية الهداية المقترنة بالإتباع

1. سورة الإسراء، الآية: 9.

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه وسيهديهم إلى صراط مستقيم﴾[2].

والقرآن الكريم هو دليل وبيان لكل شيء إذ قال الله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾**[3]. والبشرى هي مآل دنيوي وأخروي معا.

إن المستقبل الأخروي والدعوة إلى التفكير فيه والاعتقاد به، حاضر بشكل كبير في الخطاب القرآني كما هو معلوم؛ ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون، ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾**[4]. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض»[5]. فهذا الوضع الأخروي، بصورته البليغة في القرآن، يجعل كل صاحب سلطة، يتحقق بأن حكمه زائل وأن الملك الحقيقي هو للحق سبحانه؛ فالاعتبار بهذه الصورة المستقبلية يؤدي حتما للتواضع والخشية.

إن القرآن الكريم يتضمن صورا للمستقبل في غاية الوضوح وكل متدبر لابد أن يمتلأ قلبه إجلالا وتعظيما للقدرة الإلهية وهيبة من الغيب القادم. وهكذا كما هو معلوم فإن صور المستقبل الأخروي في القرآن تشمل نهاية العالم كما هو مبين في آية طي السماوات والأرض، كما يصور القرآن الحياة المستقبلية في البرزخ لأصحاب الجنة وأصحاب النار؛ **﴿ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾**[6]. ولقد قال الله تعالى في حق آل فرعون **﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾**[7].

وهناك آيات كثيرة في وصف المستقبل الأخروي المتضمن للنعيم من جنة وتواب وفرح بلقاء الله، وكل ذلك إنما للاعتبار فقد قال تعالى : **﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾**[8].

---

2. المائدة، الآيتين: 15-16.
3. النحل، الآية: 89.
4. الزمر، الآيتين: 67-68.
5. رواه البخاري.
6. المؤمنون، الآية: 100.
7. سورة غافر، الآية: 46.
8. سورة آل عمران، الآية: 185.

ويتضمن القرآن الكريم كذلك صورا استشرافية للمآلات الدنيوية والتي هي بالطبع مطايا المستقبل الأخروي وأسباب مؤدية إليه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾[9]. وهو قول رباني إلهي جامع لكل شيء، فالعمل مهما بلغ حجمه وإن كان منتهيا في الصغر، سيكون له مقابل من الخير أو الشر. وهنا إشارة واضحة إلى ضرورة تقدير مآلات الفعل، وبالتالي ترقب تداعيات ذلك على المستقبل القريب والبعيد، الدنيوي والأخروي، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[10].

إن المتدبر للآيات القرآنية لاشك أنه سيرى بأن الخطاب القرآني يولي اعتبارا خاصا للتدبر في المستقبل بكل أنواع وصنوفه ومراتبه، ولذلك حث الحق سبحانه عباده على العمل المتواصل والاهتمام بمستقبلهم بما يليق بهم وبمستقبل الأمة الإسلامية والبشرية. ذلك أن تبليغ الرسالة ومعاملة الخلق بما يليق من تكريم للإنسان هو دعوة لكافة الناس إلى الهداية وسبيل النجاة. فالأفعال بمآلاتها؛ وبالتالي فإن المستقبل في القرآن[11]، أمر مركزي وعليه يدور كل شيء، لأن المستقبل هو الغيب القادم والذي لا ريب فيه، والذي هو انكشاف للحقيقة الكبرى وهي مواجهة الجزاء الإلهي والتعرف على المصير الأبدي.

ولقد اشتمل القرآن على آيات كثيرة حول مستقبل الأفراد والجماعات والسنين الكونية ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا، أو لم يسيروا في الأرض فينظرون كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة**﴾[12].

إن التبدل والتغير والتحول في أحوال الأفراد والأمم سنة كونية، والتدبر في ذلك، يحتم العمل على التفكير في مستقبل أفضل. ولذلك عنيت الدراسات المستقبلية بفهم التحولات الطارئة واستشراف تداعياتها الآنية والمستقبلية والبحث عن سبيل لتفادي المخاطر المستقبلية. وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك في قصة يوسف عليه السلام والرؤية التي رآها والتي كانت بمثابة تحذير إلهي من قدر إلهي يتعين مواجهته بتخطيط مستقبلي، يسترشد بالحكمة النبوية والتدبير الموحى إلى سيدنا يوسف عليه السلام، فكانت خطته المستقبلية اتقاءا لمواجهة كارثة فلاحية من شأنها تقويض الأمن الغذائي آنذاك.

---

9. الزلزلة، الآيتين: 7-8.
10. رواه مسلم.
11. انظر للتوسع:

محمود أحمد عبد السلام: الاستشراف المستقبلي في القرآن الكريم. رسالة لنيل الدكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة في إسلام أباد -باكستان- اكتوبر 2003.

12. سورة فاطر، الآيتين: 43-44.